مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

Understanding the Qur'anic discourse and the conflict of authority of the text and the reader

Saadoon jasim nasee

. Affiliation (University of Fallujah/College of Islamic Sciences)

Email: Dr.saadoonjasim@uofallujah.edu.iq Phone:07733702711

ahmad hasan kashash

Affiliation (Ministry of Education / General Directorate of Anbar Education / Specialized supervision

/Email: ahmad78hasan@gmail.com / Phone:07714461002

Abstract:

The Qur'anic text is sacred texts from God Almighty, the first source of Islamic legislation, so understanding the Qur'anic text comes from replacing the Islamic religion and clarifying the purposes of this text and preoccupation with its meaning for the sake of it. The different readings between the written texts and others, and the readings of each text are different between and write, and the backside of it, the readings for each text are different between and write and write, and this research in which we explained that the Qur'anic text is not subject to an audio sector because it is a sacred text.

Keywords: **Qur'anic, authority of the text , authority of the reader .**

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فهم الخطاب القرآني وتنازع النص وسلطة القارئ

م.م. سعدون جاسم نصير حسين العيساوي
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الإسلامية
الإيميل: Dr.saadoonjasim@uofallujah.edu.iq الهاتف: ٠٧٧٣٣٧٠٢٧١١
م.م. أحمد حسن كشاش محمد القرغولي
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية الانبار/ الإشراف الاختصاصي
الإيميل: ahmad78hasan@gmail.com / الهاتف:٠٧٧١٤٤٦١٠٠٢

الملخص:

إن النص القرآني نص مقدس من الله سبحانه وتعالى، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، ففهم النص القرآني من أولويات الدين الإسلامي، وبيان مقاصد هذا النص والانشغال بمدلولها من أجلِّ العلوم ؛ فالنص القرآني يمتلك من الحساسية الشيء الكثير بما يجعله لا يُطلق يد القارئ في الذهاب بعيداً مع مدلولات غير مقصودة، وبذلك لا يكون النص القرآني كبقية النصوص الأدبية والمقالية. ومن المعلوم أنَّ هذه النصوص في نزاع بين سلطة النص، أي المؤلف لها، وبين سلطة القارئ أي المؤول لها، فالقراءات لكل نص تختلف بين قارئ وآخر، وهنا كان هذا البحث الذي بيَّنا فيه أن النص القرآني لا يخضع لسطة القارئ ؛لأنه نص مقدس، وقدسية النص تعني السلطة التامة على القارئ.

الكلمات المفتاحية: (تنازع، الخطاب، سلطة، فهم، القارئ، القرآني، النص).

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فهم الخطاب القرآني وتنازع النص وسلطة القارئ

م.م. سعدون جاسم نصير حسين العيساوي
جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الإسلامية
م.م. أحمد حسن كشاش محمد القرغولي
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية الانبار/ الإشراف الاختصاصي

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً وبه وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا، أما بعد.

فإنّ من أجلّ النعم التي أنعم الله بها على عباده نعمة إنزال القرآن الكريم نوراً وهدًى للناس جميعا، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، والإعجاز فيه ليس لمجرد التعجيز، وإنما لتحقيق الغاية النبيلة التي نزل من أجلها هذا القرآن العظيم، ومنها تغيير الإنسان والهداية للتي هي أقوم بكل ما يندرج تحت هذه الكلمة (أقوم) من معانٍ، وقد ختم الله سبحانه و تعالى بهذا القرآن الكتب السماوية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ، وقد انبرى لتفسير هذا الكتاب العظيم الكثير من المفسرين، بمختلف مناهجهم وأسلوبهم، فمنهم من مال إلى معتقده وفكره، فطوَّع الآيات الكريمة في تفسيره لذلك المعتقد والمنهج، ومنهم من كان حيادياً في تفسيره، وموضوعياً في أسلوبه.

ولأن القرآن الكريم نص مقدس من الله تعالى ، فلا سلطة للقارئ هنا، وليس كما هو الحال في النصوص الأدبية والمقالية فهي في نزاع بين سلطة النص، أي المؤلف لها وبين سلطة القارئ أي المؤول لها فكان هذا البحث ليعالج هذا الأمر تحت عنوان : (فهم الخطاب القرآني وتنازع النص وسلطة القارئ) .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

سبب اختيار الموضوع

السبب في اختيار الموضوع هو الوقوف على أن النص القرآني نص مقدس من عند الله تعالى وهو نص خصب بمفهومه الدلالي والبلاغي، ولا يخضع لسطة القارئ ،كما هو الحال في النصوص الأخرى من شعر ونثر.

أهداف البحث

١. بيان عظمة القرآن الكريم وأنه نص مقدس من الله سبحانه و تعالى وهو ليس كالنص الأدبي، تتقاذفه الآراء كيفما شاء صاحبها.
٢. الوقوف على أن النص القرآني بمفاهيمه السياقية يعطي معاني جديدة، ولكن لا يمكن لهذه المعاني أن تخرجه عن مطالبه الأساسية، فكل تأويل يخرج عن هذه المطالب تأويل تحريفي لا يقبله الشرع .

خطة البحث

اقضت طبيعة هذا البحث أن نقسمه على ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة، فكان المبحث الأول على أربعة مطالب، والمبحث الثاني على خمسة مطالب، والمبحث الثالث على ثلاثة مطالب وكما يأتي :

المبحث الأول: مفهوم الخطاب .

المطلب الأول: مفهوم الخطاب بشكله العام .

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب عند العرب القدامى .

المطلب الثالث: مفهوم الخطاب القرآني .

المطلب الرابع: الفرق بين النص والخطاب .

المبحث الثاني: سلطة النص وسلطة القارئ .

المطلب الأول: قوة السلطة ومفهوم التأويل .

المطلب الثاني: الخطاب القرآني بين مركزية النص والفهم المفتوح .

المطلب الثالث: تأويل الخطاب القرآني بين الإبداع والابتداع .

المطلب الرابع: سلطة القارئ بين المجاز والحقيقة في النص القرآني .

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

المطلب الخامس مقاصد تسلط القراءة في الخطاب القرآني .

المبحث الثالث: تسلط القارئ ولي أعناق النص القرآني .

المطلب الأول: تسلط العقل على النص .

المطلب الثاني: تسلط القارئ على النص بحجة مناسبة معنى الآية .

المطلب الثالث: تسلط اللغة على الرواية والسماع .

ونسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثان

المبحث الأول: مفهوم الخطاب

المطلب الأول: مفهوم الخطاب بشكله العام .

الخطابُ لغة : هو أحد مصدري الفعل: خاطَبَ يُخاطِبُ خطاباً، والخطاب والمخاطبة هي مراجعة الكلام، وقد خاطبك بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهو لا يخرج عن معنين: حدث الخطاب، والدلالة على المسمى، أي ما يُخاطب به، ومعنى التواصل حاضرٌ في الأمرين معاً، قال تعالى: {فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}[1]، وقال تعالى: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}[2][3].

أما الخطاب اصطلاحاً: فإنَّ للفظ الـ (الخطاب) في الاصطلاح معاني كثيرة ومتعددة، سواءٌ في الفكر العربي أو الغربي، نتيجةً لتعدد مجالاته واختصاصاته، ومن هذه التعريفات:

ما عرَّفه الآمدي، حيث قال فيه: (هو اللفظ المتواضَع عليه، المقصود به إفهام مَن هو متهيءٌ لفهمه)(٤).

وقد وافقه الزركشي في هذا التعريف في موضع من كلامه، لكنه قال بعد ذلك: (ما يقصد به الإفهام أعمّ من أن يكون من قصد متهيءٍ أم لا)[5].

(١) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٣) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، فصل الخاء المعجمة، (خطب): ٣٦١/١؛ وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، حرف الخاء: ٧٤٩/١؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، (خطب): ٦٦٠/١.

(٤) الإحكام في أصول الإحكام ، للآمدي: ١٣٦/٢.

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي: ١٦٨/١.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وعن طريق هذين التعريفين يظهر لنا أنَّ مدار كل خطاب هو التواصل، وأنَّ الوسيلة التي تعمل على تحققه هي اللغة، وليست غيرها من الوسائل؛ لعدم تحقق شرط اللغة فيها.

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب عند العرب القدامى:

لقد تجاوز مفهوم الخطاب –عند العرب– الحيّز اللفظي والجُمَلي، ليستقر على أنَّه تعبيرٌ عن حاجات المخاطب عن طريق النص، فاتسع بهذا المفهوم البحث الدلالي ؛ فكانت نقلة نوعية من البحث في المفردة أو البحث في الجملة، إلى البحث عن خطابٍ يتم فيه تحميل الدلالات لمفرداتٍ وجملٍ يقتضيها موضوع الخطاب، فالخطاب في الثقافة العربية يهتم بالكلام الذي تستمد دلالتُهُ من السياق، وقد وضعوا له شروطاً ومحددات، يخضع لها النص من جهة، ويذعن لها القارئ من جهة أخرى، وخلاصة القول: إنَّ مفهوم الخطاب عند العرب يعتمد على ركنين أساسين، هما: الإفهام في الخطاب، والفَهم في المخاطب(١).

المطلب الثالث: مفهوم الخطاب القرآني:

إنَّ الخطاب القرآني هو خطابٌ إلهيٌّ معجِز، يمتلك من الأدوات ما يجعله أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب مختلف الحضارات، فهو رسالةٌ بلاغية ربانية عالمية لكل الناس، أنزله الله تعالى على نبيه الكريم (ﷺ)، قال تعالى واصفاً ذلك الخطاب: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}(٢)، فجاء هذا الخطاب رسالة خالدة وأبدية ؛ ليستوعب الزمان والمكان والإنسان، وقال تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(٣)، فقد جاءت

(١) يُنظر: اللسانيات والدلالة، لمنذر العياشي: ص٧؛ والخطاب القرآني والفلسفي سلطة القارئ أم سلطة النص، د. الوردي غنيمي، ص٤٥٩ .

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

هذه الآية بصيغة العموم والشمول والاستغراق لكل الناس؛ لتدل على صدق عالمية الرسالة المحمدية، فهي لم تختص بقوم، أو أرض بعينها، بل هي لكل الناس بما تتضمنه من قوانين تناسب مختلف أطوار البشرية(١).

يقول سيد قطب (رحمه الله تعالى): (لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة، وينظم مجتمعا، ثم لينشئ عالما ويقيم نظاما، جاء دعوة عالمية إنسانية، لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس..، جاء لبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي، وأنه الرسالة الأخيرة التي ليست بعدها من السماء رسالة)(٢).

ولا أحد ينكر أن الخطاب القرآني جاء على نسق الكلام العربي فهو بحدود كلامهم، مع الأخذ بالاعتبار بتميز أسلوبه، فكان نمطاً خاصاً مفارقاً لكل الأنماط، قال تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}(٣)، لكنه رغم هذا وذاك فقد جاء الخطاب القرآني بمختلف مستويات النص في الفهم والإدراك، فكل متلق يتلقاه بما أوتي من قدرات الفهم، وقد راعي القرآن الكريم في خطابه الجمهورَ من الأميين والخطباء وأهل الجدال، فجارى العرب في مخاطباتهم، إلا أنَّه استطاع أن يُربك ثنائية الشعر، ومقطوعة النثر، وأن يؤثر في كل خطابات الأجناس، رغم أنَّه ليس لأحد أن يأتي بمثله، متحدياً العرب البلغاء بهذا، ومعجزاً لهم، قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(٤)(٥).

المطلب الرابع: الفرق بين النص والخطاب:

إنَّ مفهوم الخطاب لم يعرف الاستقرار والثبات الذي يجعل مفهومه موحداً عند الباحثين، فهو يختلف باختلاف المدارس، أما النص فله مظهرٌ دلالي، يتم فيه حصول معنى معين في ذهن القارئ، بخلاف الخطاب الذي يحمل مظهراً نحوياً مركباً من وحدات لغوية ملفوظة، أو مكتوبة، ففيه آثار واضحة للزمن والبنية الثقافية، فالنص لا يكون إلا مكتوباً، والخطاب مظهرٌ نحوي يمكن أن يكون منطوقاً أو ملفوظاً(٦).

---

(١) يُنظر: البعد العالمي في الخطاب القرآني، مجلة الوعي الإسلامي، لعبد الكريم حامدي، العدد: (٥٣٢)، وزارة الأوقاف الإسلامية – الكويت، ٢٠١٠م.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٢١٩٠/١٤.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٨.

(٥) يُنظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، للطفي فكري محمد الجودي: ٩٣–٩٨.

(٦) يُنظر: الثقافات العربية الحديثة المرجعيات المستعارة، لعبد الله إبراهيم: ص٢.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

ومن الباحثين من يرى أنَّ النص والخطاب لفظان مختلفان لمفهوم واحد، وإنَّ كان الغالب عندهم هو استخدام مفهوم الخطاب أكثر من غيره، فالخطاب أو النص: هو أجزاء مشكلة في سياق معين بينهما تماسكٌ شديدٌ، والعنصر المكون لهذا السياق هو الوسائل اللغوية، والشكلية، المتضمنة تلك الضمائر والإشارات، فهم لم يذهبوا بعيداً في التفريق بين هذين المفهومين، الخطاب والنص(١).

وعن طريق ما سبق يمكن أن نلحظ الفرق بين النص والخطاب بما يأتي:

١- إنَّ النص يكون ثابتاً، ولا يمكن تغييره بعد كتابته، بخلاف الخطاب فهو متغيرٌ ويمكن تصحيحه أو تغييره أثناء عرضه على الآخرين.

٢- إنَّ النص وسيلةٌ لنقل المعلومة من زمانٍ لآخر بلغةٍ مفهومة، أما الخطاب فهو وسيلة للتفاعل الآني بين الاشخاص.

٣- إنَّ النصَ معقدٌ ؛ لاعتماده على الجمل الطويلة والقصيرة، أما الخطاب فهو أبسط منه؛ لأنَّه لا يخلو من التكرار، ويستثنى من ذلك الخطاب الرسمي.

٤- إنَّ النص لا يكون إلا بلغة عربية فصيحة، أما الخطاب فيمكن فيه استخدام الألفاظ العامية.

المبحث الثاني: سلطة النص وسلطة القارئ

المطلب الأول: قوة السلطة ومفهوم التأويل:

إنَّ تنازع السلطة بين النص والقارئ هو محور عملية التأويل وعمادُها، فإن توازنت سلطةُ الرأي وسلطةُ القارئ فقد توازنت سلطةُ التأويل، وإن رجحت كفةُ النص فقد أُعجز القارئ وانقاد له، وإن رجحت كفةُ سلطة القارئ ؛ يصبح النص مناسبة لاختلاف القراء ومبعثاً للذتهم، ومسلكاً لصناعتهم، وبثِّ أفكارهم، وبالتالي يغدو النص لعبة للقارئ منقاداً لغرضه، فينبغي لكل باحث أن يكشف تنازع السلطتين، فالنص هو بناءٌ وتركيبٌ وتأليفٌ وصياغةٌ، فهو جوهري في قيمته الدلالية والفنية والأسلوبية، فيجب مراعاة هذه العناصر، والنظر إلى أولوياتها، وما تدخل في أسلوبها وصياغتها الكلية(٢).

(١) يُنظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، لمحمد الخطابي: ص٥.

(٢) يُنظر: في بناء النص ودلالته: مريم فرنسيس: ص٤.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وعليه فإن قوة السلطة ترتبط بمفهوم التأويل ارتباطاً مباشراً، وهنا لابد أن نقول : إن إشكالية التأويل تعود لإمكانية القارئ في قراءة النص وفهمه، فالقاعدة الأساسية لمعلومات القارئ والإمكانية العلمية له قادرةٌ على تجسيد فهمه للنص بدقة، فمن جهةٍ فالنص له معنى خاصٌّ به، وما يقوله القارئ له صلة بهُويته، فتكوين الخلفية التي يحكم بها صاحب اللغة على النصوص يتغير مع تغير الزمان والمكان، وهذا سبب رئيس في تعدد القراءات، وليس عن طريق قرّاء مختلفين بل من قبل قارئ واحدٍ بعينه؛ إذ إنَّه في كل قراءة للنص يجد معنى غاب عنه في قراءته السابقة، فلا تتحقق لحظة التفسير إلَّا حين يلتقي تفاعل لغة النص بتفاعل القارئ(١).

إنَّ التأويل بشكله العام هو تمثلٌ للنص ولكاتبه، وقد فقه العربُ الأوائل الذين نزل عليهم القرآن الكريم هذه الحقيقة، فهم أوّلُ المؤولين لخطاب الله تعالى لهم، فقد عملوا بالنص واستنبطوا منه أحكاماً شرعية، فتعاملوا مع الخطاب القرآني بعلاقة (ما يهدف إليه النص)، فكانت علاقة المؤول هي للشرح والتفسير، فالغاية الحقيقية هي عملية تأسيس لعلاقة بين الإنسان وربه، ومن هنا يبدأ الخلاف بين فهم المفسرين وتفاوت معرفتهم بالقرآن الكريم، فخلافهم ليس على النص، بل بما يحتويه النص، أي بين ثقافات مختلفة مناسبتها هي تأويل النص القرآني(٢).

لقد استخدم المفسرون عباراتٍ كثيرة في تفسيرهم، ومن بين تلك العبارات هي قولهم: (الله أعلم) وهي عند المفسرين علامةٌ دالة على التزام المؤوّل بما أورده التاريخ عن واقعة، أو قصة تتعلق بالنص القرآني، فعند ممارسة سلطة المفسر على النص – في ضمن محيط التزامه – فهو يتماشى مع ما يوافق الآيات الكريمة تاريخياً أو ما يعرفه من سياقات، فسلطة المفسر لا يمكن لها كسر ما جاء من أسباب النزول، أو علم المناسبة، وكذلك الروايات التاريخية المتعلقة بالآية الكريمة، فينقاد التفسير لها كما في سورة العاديات، وسورة قريش، وسورة النصر، وسورة المسد(٣).

---

(١) يُنظر: تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص، د. حمزة فاضل يوسف: ص٧–٨.

(٢) يُنظر: في أصول الخطاب النقدي الجديد: تزفيتان تودوروف وآخرون، ترجمة: أحمد المديني: ص٥٧–٦٠.

(٣) يُنظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ٣٠٧/٢؛ وجامع البيان، للطبري: ٥٥٥/٢٤، ٦١٧/٢٤، ٦٦٥/٢٤، ٦٧٥/٢٤؛ ومفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥٨/٣٢.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

المطلب الثاني: الخطاب القرآني بين مركزية النص والفهم المفتوح:

إنَّ النص القرآنيُّ هو خطاب ربِّ العالمين إلى الناس أجمعين؛ ليقرؤوه عن تدبُّر، ويأخذوا على عاتقهم تأويلَه باللسان العربيِّ المبين، باعتبار أنه قد نَزَل بلغةِ العرب على وجه الحقيقة: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}(١).

ولأنَّ العرب الأوائل الذين نزل النصُّ القرآنيُّ بلغتهم كانوا أقحاحًا وفصحاءَ في لسانهم، ولم تدخل على ألسنتهم عجمةٌ بعدُ ؛ فإنهم قد تعاملوا مع النصِّ بتدبُّره، وفهمه لُغويًّا على ما أراد الله منه، دون عناء أو تنطُّع، فهو بحق: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(٢).

ومن أجل هذا كلِّه فإنَّه لا يحقُّ لأحدٍ أن يستغلَّ الخطاب القرآني للتأويل المفتوح على هواه، أي بسلطة مطلقةٍ تكون خارج معايير اللغة التي نزل بها، بذريعة أنَّ النصَّ القرآنيَّ يخضع للتأويل المفتوح على مرِّ العصور، وبحُجَّة استمراريَّة حركة المعنى؛ ليواكب حركة التغير في الحياة، فالنص القرآني يمتلك من الحساسية الشيء الكثير التي تجعله لا يُطلق يد القارئ في الذهاب بعيداً مع مدلولات غير مقصودة، وبتلك القيود فإننا نتفادى حدوث معانٍ ودلالات جديدة تنتج عن طريق القراءات التي هي على طول خط حركة الزمن القادم، والتي قد تحدث لنا قيمًا دينيةً أخرى، غير قيم الدين الحقِّ، وما ينجُم عن مثل هذا النهج المنفلت من مخاطرَ تمسُّ صحةَ المعتقد والدين(٣).

وقد نجد حالات يفرض فيها القارئ سلطته على النص، بحيث تجعل القارئ – في الظاهر – أعلم بالتأليف من منشئ النص، فالنص عندهم لا يُقرأ على ظاهره، بل يُقرأ على باطنه، أي على وفق ما رتبه المؤوِّل أو القارئ في داخله، وهو الترتيب الصحيح للبنية، وما ورد في النص يعرضه المؤوِّل أو القارئ بطرق فلسفية ؛ لتتوافق مع ما يعتقده، فهنا نجد هذه القراءة تفرض سلطتها على النص، بل وتلوي عنق النص ؛ ليساير ما فلسف المؤوِّل من قضايا مقدسة، فهو في حقيقة الامر لا يتحدث عن تأويل النص، بل

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣.

(٣) يُنظر: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طبيب التزيني: ص٢٤٥؛ والخطاب القرآني والفلسفي سلطة القارئ أم سلطة النص، د.الوردي غنيمي، ص٤٦٧.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

يتحدث عن فلسفة سلطته على النص، فتأتي النتيجة سيئة وسلبية، فيؤوِّل الغيبيات، ويبعد تكليف الصلاة، والزكاة وغيرها من المعلومات من الدين بالضرورة، مستخدما عبارات منها: (هذه المسائل فيها خلاف)، و(هذه المسائل لا ينبع من فهمها الظاهر روح النص)، وغير ذلك[١].

فعندما ينفلت القارئ في سلطته التأويلية، ويعطي لنفسه سلطةً فوق سلطةِ النصِّ القرآني ومركزيَّته ؛ فسيأتي بمفاهيم تتقاطع مع المفاهيم الحقيقيَّة للنصِّ الكريم، كما هو الحال في القراءة التفكيكية الهدَّامة للنصِّ[٢].

المطلب الثالث: تأويل الخطاب القرآني بين الإبداع والابتداع:

لقد حاول علماء الأمة المتقدمين استيضاح النص القرآني، وذلك من أجل بيان حقيقة مراد الله تعالى منه، فكانت أدواتهم في تحليل النص هي: (النص القرآني، والعقل، وإمكانية التأويل، وكيفية الربط بين المعنى الباطن والمعنى الظاهر، والتمييز بين الدراية والرواية، وغيرها)، فلم يكن فهم الآيات الكريمة يخضع لمنهجية معينة، وكانت تحكمهم قاعدة مشهورة بينهم هي: (لا اجتهاد مع وجود النص)، وبالتالي فقد انصب تفسير الخطاب القرآني على البلاغة؛ لإدراك معانيه، والاعتناء بظاهره، فتعددت الوجوه، واستنبطت المعاني، لكن الحرص الشديد في قلوب المفسرين من التلاعب بكلام الله تعالى جعلهم ينجزون قراءات راشدة للنص القرآني، تتسم بإثراء النص، وتوسيع نطاقه الدلالي، وتوسيع مفهوم عبارته[٣].

ولا يختلف اثنان على خصوبة الخطاب القرآني للبشرية، فهو غنيٌّ بوسائله التعبيرية، مما يفتح مجال التأمل والتبصر في داخل الآيات الكريمة، لغرض تنافس البشر وتدافعهم في طلب المعرفة، ولهذا نجد الجاحظ يقول: (ولو شاء الله أن ينزل كتبه، ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنّا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة، ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا)[٤].

---

(١) يُنظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني: ٢٤٩-٣٨٤، وتأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص، د. حمزة فاضل يوسف: ص١٧-١٨.

(٢) يُنظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي: ١٧٧.

(٣) يُنظر: الخروج من آلتيه، دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة: ص٧٩.

(٤) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: ٣٧٦/٣.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وعلى هذا فالانفتاح الواعي المقيد بشروط هو الذي يصوغ القراءة الآمنة للنص الكريم ؛ لأن كلام الله تعالى يملك خصوصية، على خلاف كل كلام غيره، وبالتالي فليس بالضرورة أن كل القراءات لكلام الله تعالى هي مقبولة ؛ لأن فهم القرآن وإدراكه من حيث الوجه البلاغي يمتلك حساسية عقائدية خاصة، وهي التي أنشأت الصراع بين مختلف الطوائف والملل، وفي هذا يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى): (فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنَّه مرادُه، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟! ... الأديانُ السابقة إنما فسدت بالتأويل، وليس هذا مختصاً بدين الإسلام فقط، بل سائرُ أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل)[1].

والذي يفهم هنا من كلام ابن القيم أنّه التأويل غير المنضبط أي تسلط القارئ على النص، الذي يأخذ الأمة إلى دائرة الهلاك، وخسارة الدنيا والدين.

المطلب الرابع: سلطة القارئ بين المجاز والحقيقة في النص القرآني:

من المعلوم أنَّ قواعد اللسان العربي أُخذت من كلام العرب دون تمييز بين شعرٍ أو نثر، فقد تعامل النحاة واللغويون العربُ مع النص أو الخطاب تعاملاً شاملاً ومحيطاً باللغة، فكانوا يلتقطون من كلام أهل البادية موضع الشاهد الذي يخصُّهم، وموضعُ الشاهد هذا لا يميّز بين الكلام المبين المحكم الواضح، وبين الكلام المخيَّل، ومعلومٌ أنَّ المجاز إنما يُمارس في النصوص المخيَّلة، ويجتنب النصوص والخطابات المبينة التي لا تقبل التخيُّل، فالحقيقة تمارس في النصوص القانونية والشرعية والفقهية، التي تكون دلالتها محكمةٌ ودقيقة ومحصنة، حتى لا يخرج معناها إلى غيرها، والقرآن الكريم فيه كثير من آياته قد نسبت إلى المجاز، كما نسبت النصوص الأخرى فيه إلى الحقيقة، فالآيات الكريمة التي تخصُّ الحقيقة لها مسلكٌ واحدٌ لا يحتمل التأويل، فهي محكمة، أما الآيات الأخرى فيه فهي لها وجوهٌ وطرق مختلفة، فهي تُنسب إلى المجاز، وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة، وعبد القاهر الجرجاني، فهما يؤكدان وجود المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم، ويريان بأنَّ إنكار وجود المجاز في القرآن يؤدي إلى الضلال وإفساد العقائد[2].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية: ١٩٢/٤.

(٢) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي: ٣/٣.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

وهنا يجب أن نحدد المكان الذي تبحث فيه سلطةُ القارئ، بمعنى أنَّ سلطة القارئ تعمل بقوتها في الأقوال المتشابهة وفي المجاز، وهي تكون بمستوى أقل في الأقوال الحقيقية، فهي تعمل في تناسب طرديٍّ مع كمية المجاز في الآيات المنسوبة للتشابه، ومن أشهر هذه الآيات هي قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}(١)، وقوله تعالى:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}(٢)، وقوله تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}(٣)، وقوله تعالى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}(٤)، وقوله تعالى: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}(٥)، ففي هذه الآيات الكريمة وأمثالها لا توجد ضوابط محددة في نسبة الأقوال للحقيقة والمجاز يمكن أن نحتكم إليها، ونقيد سلطةَ القارئ فيها، فإنَّ فيها وجوهاً كثيرةً لممارسة تلك السلطة(٦).

المطلب الخامس: مقاصد تسلط القراءة في الخطاب القرآني:

١- نزع القداسة عن النص القرآني: إنَّ حجب القداسة عن النص القرآني وإزالة التبجيل الذي أسدل عليه يجعل القرآن موضوعاً للتساؤلات النقدية المتعلقة بمكانته اللغوية، والتاريخية، وهذا يقتضي – على حسب زعمهم – القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية.

٢- زحزحة الثوابت: إنَّ الثوابت والقواطع واليقينيات ليس لها قناعاتٌ عند المتسلطين من القرّاء المعاصرين، ولما كان القرآن الكريم هو رأس المقدسات ومرجعية الثوابت، كان الأولى عند هؤلاء هو البدء بنقده على سنن مناهج مختلفة، مثل المنهج التاريخي التفكيكي، والمنهج العقلاني النقدي، وغيرها، حتى أوغلوا في نقد الوحي فعدوه منتجاً بشرياً، نزعت عنه أسماء التقديس، وصار عندهم كالأسطورة وهذا ما يسمونه بال (الظاهرة القرآنية).

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.
(٤) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٥) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٦) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي: ٣/٣٥-٣٧.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

٣- إبطال المرجعية والقيادة عن القرآن: عمل المتسلطون على النص القرآني الكريم على إقصاء القرآن الكريم عن ساحة الحياة المعاصرة، فالاحتكام إلى القرآن عندهم يعيق مسيرة الإنسان، ويفضي إلى تعقيد المشاكل، فلا بد من إبطال مرجعيته، حتى يسرح العقلُ في عوالم غير متناهية من التحرر، فكان همهُم تفكيك النص القرآني المقدس ؛ لأجل الإيهام بموقع القرآن ومكانته في نفوس المسلمين وعواطفهم.

٤- إبادة التراث التفسيري: إنَّ النص القرآني لا يستغني عن التفسير؛ فالمسلم مأمورٌ بالتدبر فيه، واستخراج معانيه ومقاصده، وقد عمل هؤلاء المعاصرون على شنِّ حملة ضد التراث التفسيري، فقد استنفروا لها مناهج عدة غريبة، مدعين بأنَّها خطاب مغلق، ونتاج سطحي، وكلام تبجيلي، حتى بلغ بهم التعصب بوصف التفسير بأوصاف قادحة، تنفر الناس منه، فذكروا بأنَّ التراث التفسيري لم يكن له من فضل أو أثرٍ حسن في إثراء القراءة التأويلية، والفهم الموضوعي للنص القرآني.

٥- صبغ المجتمع الإسلامي بالصبغة الحداثية: إنَّ من أولويات القراءة المعاصرة هي صياغة المجتمع الإسلامي على قالب الحداثة الغربية، فلا ممنوع يحظر، ولا حرام يُنكر، ولا كبيرة يَأثم فاعلُها، فيصبح التدين متجاوباً مع فلسفة الحداثة، فلا رقابة تقيّد حرية الأفراد، ولا طقوس شعائرية تهذب السلوك الفردي، ولا غيبيات تكلف العقول ما لا يطيق، وبالتالي في ظل هذا التدين المنحرف لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه[١].

المبحث الثالث: تسلط القارئ ولي أعناق النص القرآني

المطلب الأول: تسلط العقل على النص:

العقل: هو الآلة أو الملكة التي يستطيع بها العبد التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، واستنباط النتائج من المقدمات، قال الله تعالى: {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}[٢][٣].

(١) يُنظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، لقطب الريسوني: ٤١١-٤١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) يُنظر: التعريفات، للجرجاني: ص١٥١، والتعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان البركتي: ص١٤٩.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

فالعقل هو مناط التكريم والتفضيل، وهو عمدة التكليف بالأحكام، وهو المفتاح لكل ما أُغلق من النصوص الشرعية، وقد وردت النصوص الكريمة في مخاطبة العقل بالمنطق والحجة المستقيمة، لا بالأوامر المجردة الصارمة وقهر الناس على الإيمان، قال الله تعالى: {إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}(١)، وقد أبى الله تعالى أن يجاري المشركين في مطالبتهم للنبي الكريم (ﷺ) ببعض الخوارق الحية التي من شأنها أن تحمل الناس على الإيمان حملا مباشراً وقوياً، فحين قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}(٢)، أجابهم الله تعالى بقوله: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(٣)(٤).

وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}(٥)، قال الإمام الطبري : (وخص جل ذكره بالخطاب بذلك أولي الألباب، لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل، وأهل الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك وبالألباب تفهم، ولم يجعل لغيرهم من أهل الجهل في الخطاب بذلك حظا)(٦).

لكن رغم هذا التكريم لمنزلة العقل فإنه لا يعطيه الحق بأن يسرح في كل مجال، ويتسلط على الثوابت، بل له حدٌ منصوبٌ لا يتجاوزه، فالشرع قد حظر عليه الخوض في الذات الالهية، وأمر الساعة، والغيبيات، كعذاب القبر والجن والملائكة، فطاقته محدودة، على أنَّه لا تعارض بين العقل الصحيح والنقل الصريح، وقد أشار سيد قطب إلى أنَّ محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود هي محاولة فاشلةٌ أولاً، وعابثةٌ أخيراً؛ لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال، وعابثة؛ لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تخلق

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.
(٤) يُنظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، لقطب الريسوني: ١٣٨-١٤٠.
(٥) سورة العمران، الآية: ١٩٠.
(٦) جامع البيان، للطبري: ١٦١/٤.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

لمثل هذا المجال، فعلى العقل أن يتلقى العلم بأمور الغيب من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن، وهذا هو الاحترام لمنطق العقل الذي يتحلى به المؤمنون(١).

ومن النماذج التي تسلَّط العقل فيها على النص ما جاء في قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}(٢)، فقد ذهب الشيخ محمد رشيد رضا إلى أنَّ الامداد الإلهيّ روحانيٌ معنوي، وليس ماديًا حسيًا ؛ لأنَّ الملائكة لم تشارك في معركة بدر، بل خالطت أرواح المؤمنين وثبتت أقدامهم، فقد أوّل المعجزة المادية والخوارق الظاهرة التي وردت في القرآن الكريم إلى أمورٍ اعتبارية ونظرية، كما فعل المستشرقون(٣).

ولم يلتفت أصحاب هذه المدرسة – العقلية – لقول الله تعالى: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(٤)، فقانونهم المعتمد هو تقديم العقل على ما ثبت في السنة، وتقديمه كذلك على الإجماع والقياس، فنجد الجاحظ يقول: (وما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل)(٥).

وفي شاهد آخر لمن سلَّط العقل في قراءته للقرآن الكريم على ما يقتضيه النص في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ}(٦)، فقد أنكر المفسرون الجدد – من أصحاب المدرسة العقلية – التفسير الوارد بأن للرعد مَلَكا، والبرقُ صوتُهُ يسوق به السحاب، وقالوا متهكمين في سخرية بأنَّ المَلك هو جسمٌ مادي؛ لأنَّ الصوت المسموع بالآذان من خصائص الأجسام، وكأن السحاب حمارٌ بليدٌ لا يسير إلّا إذا زُجِر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع(٧).

---

(١) يُنظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٤٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) يُنظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: ٤/٩٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٥) الرسائل الأدبية، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: ٣/٥٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٧) يُنظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: ١/١٧٤، والنص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، لقطب الريسوني: ١٤٧.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

المطلب الثاني: تسلط القارئ على النص بحجة مناسبة معنى الآية:

إنَّ المناسبة بين معنى الآيات الكريمة هي أمرٌ مهم لا يمكن تجاهله، ففيها من أساليب الإعجاز في نظم القرآن الكريم ما فيها، لكن قد يعاب على البعض التكلف في بيان وجه المناسبة، فقد يعطي القارئُ الحق لنفسه أن يضيف على التركيب القرآني، أو أن يحذف منه، أو أن يفسّر صيغة الـ (فاعل) بصيغة الـ (مفعول)، أو حرف الجر (في) بصيغة (على)، مبرراً ذلك كلّه إلى الاضطرار لمناسبة معنى الآيات، وكذلك في التقديم والتأخير للتركيب القرآني، فقد وردت بعض التفسيرات في ذلك، منها على ما جاء حول قول الله تعالى: {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}(١)، قالوا: أراد ربت واهتزت، وفي قول الله تعالى: {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}(٢)، أراد لم يراها ولم يكد(٣).

ومما يذكر في مجاز الأدوات ونيابة أحدهما عن الاخرى، ما جاء في قوله تعالى: {أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}(٤)، معنى الآية أن يضرب مثلا بعوضة فما دونها، وكذلك هو الحال في قوله تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}(٥)، معناه لأصلبنكم على جذوع النخل، وكذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ}(٦)، معناه إذا اكتالوا من الناس يستوفون، وفي تفسير هاتين الآيتين تجاهل هؤلاء المعنى البلاغي في ذكر هذه الحروف على وجه التحديد، فذهبوا في قولهم هذا إلى وجود حروف زائدة في القرآن الكريم، وفي قول الله تعالى: {فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}(٧)، قالوا: في الآية مجازُ، فقد حُوّل الخبر إلى الكناية التي في آخر الأعناق، وأصل الكلام: فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع(٨).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٣) يُنظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ١٦/٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٥) سورة طه، الآية: ٧١.

(٦) سورة المطففين، الآية: ٢.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٨) يُنظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ١/١٢، والكشاف، لجار الله الزمخشري: ٣/٢٩٩.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

المطلب الثالث: تسلط اللغة على الرواية والسماع:

يقول الشيخ أمين الخولي: (إنَّ النظر في القرآن من حيث هو كتاب اللغة العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي أخذ العربية، وحمى كيانها، وخُلِّد معها، فصار فخرها وزينة تراثها، وتلك صفة القرآن، يعرفها العربي مهما يختلف به الدين، أو يفترق به الهوى، ما دام شاعراً بعربيته)[١].

وقال أبو عمرو الداني موضحاً ما يجب فعله من تقديم صحيح الإسناد على اللغة: (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية)[٢].

وعلى هذه القاعدة المتينة سار أهل العلم في الفهم الصحيح، والتفسير لكتاب الله تعالى، فألفاظ القرآن إذا عرف تفسيرها، وما أريد بها من المعاني لم يحتج إلى التكلف اللغوي لفهمها، فالمأثور مقدمٌ على أقوال أهل اللغة؛ لأنَّ ما عرف من جهة النبي (ﷺ) وجب تقديمه، بخلاف ما كان من صنيع البشر[٣].

فيجب أن لا نطلق العنان لسلطة اللغة على سلطة الأثر والرواية والسماع، فمهما بلغ القارئ أو المفسر من العلم باللغة والقيام على صنعتها، فليس هو بمنجى من العثرات والزلات، مالم يعتمد أقوال السلف وهدي الأثر، قال الإمام النووي : (ولا يكفي مع ذلك معرفة العربية وحدها، بل لا بد معها من معرفة ما قاله أهل التفسير فيها...، وكما إذا كان اللفظ مشتركاً في معانٍ فعلم في موضع أنَّ المراد أحد المعاني، ثم فسر كل ما جاء به)[٤].

ومن النماذج التي تسلطت فيها اللغة على ما جاء من الرواية والسماع ما جاء في قوله تعالى: {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ}[٥]، قال أهل اللغة في تفسير الآية: بكلمة من الله أي بكتاب من الله، تقول العرب للرجل: أنشدني كلمة كذا وكذا، أي قصيدة فلان وإن طالت[٦].

(١) دراسات إسلامية، لأمين الخولي: ٣٧.
(٢) نقل عنه هذا القول ابن الجزري في النشر في القراءات العشر: ١١/١.
(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ٢٨٦/٧.
(٤) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي: ١٦٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٦) يُنظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ٩١/١.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

ولا يخفى ما في هذا الكلام من تفسير لغوي محض، فهو لا يلتفت إلى أسباب النزول، وسياق الآية، وسابقها، فقد جاء عن ابن عباس وقتادة وغيرهم أنَّ معنى (مصدقاً بكلمة من الله) أي بعيسى ابن مريم(١).

وفي قول الله تعالى: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}(٢)، قال المعتزلة في تفسير هذه الآية وأمثالها –مما يُثبت رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة– : إنَّ النظر إلى الله تعالى معناه الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة، محتجين بأنَّ النظر ليس مختصاً بالرؤية المادية، بل له تصاريف تقول العرب: أنا إلى فلان ناظرٌ ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء(٣) .

وهذا التأويل يعدل بالآية عن ظاهرها، ويتكلف من اللغة ما يأباه السياق، فراراً من إثبات الرؤية، ولو رجع المعتزلة إلى الروايات الصحيحة في إثبات الرؤية لأغناهم ذلك.

وكذلك في قول الله تعالى: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}(٤)، قال أهل اللغة في تفسير هذه الآية : أي به ينجون من الكروب والجدب، ويعصرون من العصر وهي العُصرة أيضا وهي المنجاة والملجأ، قال الشاعر: ولقد كان عصرُهُ المنجودُ، أي المقهور المغلوب(٥).

ولا يخفى ما في هذا التفسير اللغوي من الغرابة، والبعد عن روح القرآن، فالعصر المراد في الآية هو عصر العنب خمراً، والزيتونَ زيتاً، والسمسمَ دهناً، فالمراد به بشكل عام الخير والنعيم، كما ذكر علماء السلف(٦).

(١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/٤٣.

(٢) سورة المطففين الآية: ٢٣.

(٣) يُنظر: الكشاف، لجار الله الزمخشري: ٤/٦٦٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٩.

(٥) يُنظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ١/٣١٣–٣١٤.

(٦) يُنظر: جامع البيان، للطبري: ١٦/١٢٨–١٣٠.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

الخاتمة

عن طريق هذه الجولة السريعة في (فهم الخطاب القرآني وتنازع النص وسلطة القارئ)، يمكن لنا أن نَخْلُص بأهم النتائج الآتية:

١- إنَّ النَصَ الوحيدَ الذي يمكن له فرض سلطته على القارئ هو النصُ القرآني المقدس من عند الله تعالى ، إذ هو لا يعود إلى حقبة زمنية معينة، ينتهي بانتهائها، بل هو ممتدٌ إلى قيام الساعة.

٢- إنَّ القرآن الكريم يحتوي على نصٍّ خصبٍ، فهو غنيٌّ بوسائله التعبيرية، مما يفتح المجال للتأمل والتبصر الواعي الرشيد فيه، فالبشر متنافسون في فهمه، وطريقة معرفته.

٣- إنَّ النص القرآني الكريم هو صالح لكل زمان، ولكل مكان، بالرغم من مرور السنوات الطوال عليه، فلا توجد نسبة بين التاريخ والقرآن الكريم، فالتاريخ يتغير ويختلف، على خلاف كتاب الله تعالى.

٤- إن النصوص الأدبية، والمقالات الشعرية والمقطوعات النثرية خاضعة لسلطة القارئ، إذ هي جهدٌ بشري، يعتريه الصواب والخطأ، فهي في نزاع مستمر بين السلطتين القارئ والنص.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٥. البحر المحيط في أصول الفقه: محمد بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦. البعد العالمي في الخطاب القرآني، مجلة الوعي الإسلامي، عبد الكريم حامدي، العدد: (٥٣٢)، وزارة الاوقاف الإسلامية – الكويت، ٢٠١٠م.

٧. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

٨. تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: د. حمزة فاضل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية/ العددان: (١-٢)، المجلد: (٧)، ٢٠٠٨.
٩. التبيان في آداب حملة القرآن: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٠. التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١١. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٣. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٤. الثقافات العربية الحديثة المرجعيات المستعارة، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٩م.
١٥. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٦. جمالية الخطاب في النص القرآني: لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
١٧. الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، العدد: (٢٥٩)، ٢٠٠٥.
١٨. الخطاب القرآني والفلسفي سلطة القارئ أم سلطة النص، د. الوردي غنيمي، مجلة إشكالات في اللغة والادب، مجلد: ٨، عدد: ٢، سنة: ٢٠١٩، رقم العدد التسلسلي: ١٧.
١٩. دراسات إسلامية: أمين الخولي، القاهرة – دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.
٢٠. دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٢١. الرسائل الأدبية: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢٢. في أصول الخطاب النقدي الجديد: تزفيتان تودوروف وآخرون، ترجمة: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٣. في بناء النص ودلالته: مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سوريا– دمشق، ١٩٩٨م.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2022-2023)

٢٤. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشرق– بيروت، الطبعة الحادي عشرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢٥. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٢٧. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١٤هـ.
٢٨. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد الخطابي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت – لبنان، ١٩٩١م.
٢٩. اللسانيات والدلالة: منذر العياشي، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا، ١٩٩٩م.
٣٠. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.
٣١. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٣٣. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٣٤. النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة: طبيب التزيني، دار الينابيع للطباعة والنشر، ١٩٩٧.
٣٥. النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
٣٦. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د. قطب الريسوني، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

Doi:10.37940/RJIS.2023.1.2.12